

الثورات العربية في الفضاء الافتراضي

2015-08-23 وكالات

صدر ضمن سلسلة أوراق التي تصدرها وحدة الدراسات المستقبلية بمكتبة الإسكندرية العدد السادس عشر بعنوان: ثورة الزمن الثورات العربية في الزمن الافتراض للكاتب إبراهيم فرغلي؛ الروائي والصحافي يتناول الكتاب رصد تفاعلات الشباب العربي في الفضاء الإلكتروني وقت الثورات العربي انطلاقاً من فرضية أن هذه التفاعلات من ناحية ساهمت في خلق حالة الثورات بطرق شتى، كما عكست ما يحدث على الأرض من تفاعلات جديدة على مستويات مختلفة اجتماعية وسياسية وثقافية من ناحية أخرى.

يبدأ الكتاب بطرح عدة أسئلة حول مفهوم الزمن، وإمكانية إعادة تشكيله عبر الفعل الاجتماعي، فـ" هل يمكن حقاً أن تؤدي وسيلة افتراضية مثل شبكة الإنترنت، بكل إمكاناتها اليوم، وما تحويه من برامج ومضامين خلقت فكرة الزمن، إلى خلق مفاهيم مختلفة، أو حديثة، للزمن لدى كل الشعوب الشرقية (العرب والآسيويون) والغربية على حدٍ سواء؟ وإذا افترضنا جدلاً، أن ضغط الزمن وفقاً للتطورات التي تتسبب فيها الثورة التقنية الإلكترونية يمكن أن يخلخل مفهوم الزمن، الساكن تقريباً، في المجتمعات الشرقية الميالة للراحة والسكون، والخاضعة لتراث ذهني يدعو للتواكل باسم المعتقد الديني حيناً، وباسم التراث الطويل من التعامل مع الذات كضحية تتلقى ما يحدث لها، أياً كان، كضربة قدر يُختبر بها إيمانها، أحياناً أخرى.

هذا سؤال من بين أسئلة أخرى يحاول أن يطرحها هذا الكتاب الذي استند في الأصل على عدد من المقالات التي كتبها الكاتب ونشرت في مجلة "العربي" الكويتية حول الثقافة الإلكترونية، في علاقتها بالثورات العربية على نحو خاص، وبمقالات أخرى نشرتها في صحيفة النهار اللبنانية، أو على مدونته الشخصية. وقد قام بإعادة تحرير هذه المقالات، وإضافة الكثير من الأفكار والأسئلة والبحث، من أجل بناء الكتاب بهذا الشكل.

وبين الأسئلة التي يطرحها الكتاب هناك سؤال رئيس عن دور وسائل التواصل الاجتماعي، بل ودور

الثقافة الافتراضية إجمالاً، فيما كان بإمكانها مثلاً أن تلعب دوراً في تحقيق "ثورة" في المفاهيم الخاصة بقيمتي التسامح والتعايش؟ وهل يمكن أن يكون "فن صناعة الكراهية" باسم المشروعات السياسية الدينية وباسم الطائفية المقيتة، قادراً على تحقيق سلام اجتماعي من أي نوع في أي مجتمع؟

الإجابة عندي، وعبر أدلة من محطات عديدة تناولتها سرديات التاريخ، هي لا قاطعة ونافية؛ إذ أعتقد أنه لا يمكن لقوة، أيّاً كانت، أن تحكم، وتقيم دولة عدل وحكم رشيد يراعي حق المساواة كحق أولي وأساسي لأي نظام حكم حقيقي، وفق منطق يميز الطائفة التي تنتمي إليها هذه القوة.

وإذا كان بالإمكان دوماً حشد الجماهير باسم الطائفة، وإيهامهم بأيّ من الأوهام التي تغذي استعدادهم الطائفي لكي يصبحوا أنصاراً مخلصين للمشروع السلطوي الطائفي، فإن هذا الجمهور، في الحقيقة، لا يمكن أن ينتصر للسلام الاجتماعي، الذي يهدف أي مجتمع متوازن لتحقيقه؛ لأن مشروعه في الأساس عنصري ويقوم على التمييز؛ أي أنه يضرب مشروع الدولة في مقتل عدم المساواة.

المقالات التي يضمها الكتاب هي محاولات مختلفة إذناً؛ أولاً لبحث مفهوم التحول في معنى الزمن والمكان، بسبب سيادة لغة العصر الحديث، لغة الكمبيوتر والحاسب الآلية، وأجهزة التليفون الذكية، وشبكة الإنترنت.

وعلى مستوى آخر تكشف هذه المقالات الكيفية التي يمكن بها لمجتمع المعلومات والاتصال السريع والتواصل الاجتماعي غير المسبوق أن يفضح بسهولة زيف المشروعات الطائفية، والأصولية، وكل مشروعات الإسلام السياسي الذي يقوم على أفكار عنصرية لا تحقق جوهر الدين الذي ينادي بالمساواة وعدم التمييز بين البشر، وهو جوهر قيم الإنسانية وحقوق الإنسان.

ثم يقدم الكتاب رصداً منوعاً للوسيط الافتراضي كفضاء للثورة؛ كفاعل ثوري مرة، وكراصد لحظي لمسار الثورة مرات. وكذلك كوثيقة افتراضية، تطرح أسئلة عن تناقضات مجتمع صوري، أي يرتدي زي المدنية بينما لا يزال تحتها يرتدي جلباباً ويعتمر عمامة، ولا يزال يعاني من تراث متراكم من

التقليدية والأفكار المحافظة وميراث من النقل الثقافي بدلاً من الطرح العقلاني.

أخيراً تحاول مقالات هذا الكتاب تأمل التناقضات في مدى وعي الجمهور في دول الثورات لفكرة المستقبل؛ لأن المعنى الجوهرى لفعل الثورة أنه فعل مستقبلي بامتياز، يتخيل مستقبلاً غير موجود ويريد أن يحقق له الوجود، ويرى أن القضاء على كل مظاهر الفشل والتخلف لا يمكن أن توجد سوى بخطوات تُقطع للأمام. ولهذا يكون السؤال هو هل يمكن لثورة أن تنجح إذا كان صانعوها لا يمتلكون الخيال اللازم لنجاح صناعة المستقبل، أو حتى إذا كانوا يريدون أن يستعيروا مشروعاً من زمن "ماضي" بديلاً للمستقبل؟ هنا بعض محاولات للإجابة.